يا نور عيني!

زياد الرحباني... حلو الوضوح في «الأميركية»

لحظة نادرة احتضنتها «الجامعة الأميركية في بيروت» أمس. في قاعة «ويست هول»، تحلّق حشد من الطلاب حول الفنان المثير للجدل الذي لا يساوم على المبادئ لاسترضاء الجمهور

خلال اللقاء أمس (هيثم الموسوي)

أحمد محسن

أراد زياد الرحباني أن يكون حواراً مع الطلاب لا تكريماً له. أصرّ على «مركز الالتزام المدني وخدمة المجتمع» في الجامعة الأميركيّة في بيروت أن تجري الأمور على هذا النحو. برأيه، الناس لا يحبّون الذين يكرّمون. يفضّلون مبادلتهم الحب. أمس، لم يقل الرحباني ذلك، لكنه من هؤلاء الذين يكتفون بعلاقة طبيعيّة مع الناس لا يسودها التكلّف. والقول إنّ قاعة «ويست هول» امتلأت تماماً ليس مبالغاً فيه، بل لا يكفي للوصف. رئيس الجامعة، بيتر دورمان، كان يعرف ذلك، فمازح الحاضرين أثناء ترحيبه بالضيف: «نعلم جيداً أن هذا الحشد بسببه وليس بسبب أحدنا». كانت الزحمة متوقعة، لكنها رغم ذلك فاجأت الجميع إلا الرحباني نفسه. صاحب الشخصيّة القويّة أثبت كما في كل مرة أنه شخص لا يحرج بسهولة، ربما لأنه لا يجد نفسه مضطراً إلى الموارية حين توجه له «الأسئلة الصعبة». تأتي إجاباته دائماً على ذات القياس، فتحمل ذات القدر من الصعوبة. عندما سألته إحدى الطالبات أمس عن رأيه بحزب الله في الثقافة والسوسيولوجيا، اعتبر كثيرون أنه هرب من الإجابة، رغم أنه ذكّر برأيه في هذا الموضوع أكثر من مرة. يعرف العارفون ـ والذين يريدون أن يعرفوا ـ أن الإجابة ليست ملتبسة. لا ينسجم عازف البيانو مع شكل الحزب الديني، ويكاد الخلاف معه في هذا الإطار أن يكون عميقاً. لا يروقه التصويب على هذه النقطة، لكنه يستغرب «هشاشة» الحزب الشيوعي، وقد وجد فرصة أمس للتذكير بذلك. زياد الرحباني شيوعي وهذا ليس سرّاً، ولعل ما يطال حزبه من نقد يخرج منه، يفوق بكثير النقد الموجه للآخرين. إنها قناعة «لينينيّة» راسخة في رأس «صانع الجاز»: «التغيير من الداخل». والداخل هو «الحزب»، الذي هو «الشيوعي» حسب الرحباني، علماً بأنه لا يمانع في تغيير اسمه ليصير جامعاً. لا حاجة إلى أحزاب بديلة، وولادة حزب جديد «تقتضي حذف 6 أحزاب موجودة في المقابل». لا يمانع الفنان الماركسي في تغيير الاسم، ورحب ترحيباً خاصاً بالأب مارون عطا الله الذي تعرّف إليه في أنطلياس عندما كان عمره 16 عاماً، ونبهه إلى ضرورة «التعرف إلى الآخر». ينتظر الطلاب من زياد الرحباني أن يكون «قائداً». ثمة طالبة لم تجد حرجاً في أن تطلب منه «قيادة ثورة في لبنان». وعندما سألها زياد لماذا لا تقوم بذلك بنفسها، قالت إنها لا تريد أن تعطي رأيها، فأجابها على الفور: «إيه وأنا كمان». كان هذا الأسلوب الذي يميّز الرحباني حاضراً في الحوار. قدرته الغريبة على القسوة، من دون أن يترك ذلك أثراً صلفاً. ضحك الجميع حتى الطالبة التي لم تجد جواباً واضحاً. لماذا يكون الرحباني قائداً وهو موسيقي؟ طالب آخر وجّه له سؤالاً في السياسة، مستغرباً لجوءه إليها، هو الذي «اعتاد الوضوح». لم يقسُ الرحباني هذه المرة، بل تحدث عن تجارب يسارية سابقة. صحيح أن القصص القديمة محببة إذا رواها زياد الرحباني بلهجة «رشيد»، لكن ارتباط «الجمهور» بالحاضر أوثق من الماضي بكثير. وهذا تحديداً ما يمنع صاحب «فيلم أميركي طويل» من العودة إلى المسرح. يشعر أنّ «المسافة بين الأجيال اتسعت» ولا يفهم حتى اللغة الشائعة اليوم. اعترض على فائض اللاتينيّة في لغويات الجيل الحالي واستعمال أرقامها كأحرف أثناء الكتابة، وشجع على الكتابة بالعاميّة، لأن ذلك لا يبعد عن اللغة العربيّة.

لشدة التصفيق، لا يفهم الحاضر إن كان الطلاب قد تلقفوا إجابات الرحباني. اضطر محاوره، الباحث الاقتصادي كمال حمدان، أكثر من مرة، إلى إعادته إلى السؤال الأصلي. معروف عن زياد الرحباني أنه يقول ما يريد أن يقوله فقط. من الصعب انتزاع حرف إضافي منه. سُئل عن «الربيع العربي»، فانتقل برشاقة إلى أهميّة الحركة النقابيّة في العهود السابقة، من دون أن يحدد موقفاً فجّاً على مقاس السائد. وهذا ليس لأنه مقيم في حقبة صعود اليسار، أو لأنه زياد الرحباني «المثير للجدل»، بل لأنه موسيقي. عندما يتكلم على الموسيقى، تزداد ملامحه شغفاً، ويخشى الإيغال في السياسة أكثر من اللزوم. على سبيل «النكتة»، قال إنه يريد أن يصبح ضابطاً «في الفياضيّة» لو يقبلون به هناك، وكرر رأيه بحريّة الرأي: لا يريدها إن كانت شعاراً فارغاً. يعرف جيداً أنه «يخسر جمهور»، ولكن ما يهمّه هو «الموقف». لقد اتخذ موقفاً (سياسيّاً) يراه أخلاقيّاً وليس بوارد التراجع كي «يكسب جمهور». استعاد مواقف قديمة له ضدّ النظام السوري حين وقف الأخير مع «اليمين اللبناني»، وذكّر بأن الذين يقفون ضدّ هذا النظام اليوم، هم الذين جاؤوا بجيشه إلى لبنان. كثرت الدعوات إليه بالعودة إلى المسرح. وفي كل مرة، كان يعلو التصفيق. الجمهور يحب زياد الرحباني الذي لا يتأخر.

في الواقع، تأخر الموسيقي قليلاً قبل الوصول. ربع ساعة. تلهى المنتظرون بتبادل التوقعات. كان الترحيب بالرحباني لافتاً في الجامعة الأميركيّة، ولكن حدث تشويشان بسيطان في الوقت نفسه تقريباً. تمثل الأول في خبر أوردته «وكالة الصحافة الفرنسيّة» ووصل إلى الهواتف الخلوية، يقول إنّ «جبهة النصرة» بايعت الشيخ أيمن الظواهري زعيم «القاعدة»، تزامناً مع قيام بضعة طلاب برفع لافتات (مستوحاة من أعماله) تندد برأي زياد في الأحداث الجارية في سوريا. وقد وصلت الرسالتان في الوقت ذاته.

> بضعة طلاب رفعوا لافتات تندد برأيه في الأحداث الجارية في سوريا

وقفة

اغتصاب على يوتيوب: الجريمة لا تسقط بتقادم الزمن

القاهرة ــ **محمد خير**

رغم محاولات عدّة، لا يكتب النجاح للفيلم المصوّر لحوادث الاعتداء الجنسي الجماعي في مصر، لأنّ الكاميرات لا تصل إلى مواقع الجرائم الطائفية إلا بعد وقوعها، وتكون النتيجة عبارة عن ردود فعل الناس تجاه الفيلم. لكنّ صدمةً بالغة خلّفها شريط الفيديو القصير والمؤلم الذي عرض أول من أمس لساعات على يوتيوب، قبل أن يتم حذفه. يصوّر الفيلم اعتداءً جنسياً جماعياً ـ وسط التهليل والتكبير ـ على فتاة في إحدى قرى مصر، وحمل عنوانProud Muslims raping Coptic Christians in Egypt in the day time.

جاءت خطورة الفيديو من كونه جمع ثلاث صدمات معاً: الاعتداء الجنسي الجماعي، والهتاف الطائفي، وبعض الشعارات الدينية التي رافقت عملية الاعتداء. فقد كانت عملية إنكار ما يتضمّنه الفيلم في أقصى تجلياتها، اتهمت الفيديو بالتزوير أو الفبركة أو التخطيط لإثارة الفتن، قبل أن يجد هواة الإنكار ضالتهم حين اتضحت الحقيقة. تبيّن أن الفيديو يعود إلى 2009، وسط أحداث فتنة طائفية حدثت في إحدى قرى أسيوط في صعيد مصر. هكذا، نُسي كل شيء حول الجريمة، وصار اتهام الفيديو بأنه قديم هو المهيمن على موجات إنكاره. كأنما كون الفيديو قديماً، سبب كاف لتناسي الجريمة وضحيتها، بدلاً من أن يكون دافعاً إلى مطاردة الجناة ومعاقبتهم. تتضح المفارقة أكثر، عند تذكّر حقيقة أن هذا يدور في منطقة لا تزال تُهيمن على حاضرها صراعات مذهبية تعود إلى مئات السنين. منطقة تعوّدت ألا تنسى عداوات الأجداد والأسلاف، لا جرائم عام 2009.

لا شيء يُحذف حقاً في زمن الإنترنت. سرعان ما عاد ذلك الفيديو مراراً وتكراراً في عناوين مختلفة على مواقع التواصل الاجتماعي ليثير الجدل والألم معاً. لكنه ـ أثناء ذلك ـ يرسخ الحقائق بالتدريج. فمن كان يشكّك بجرائم الاعتداء الجنسي الجماعية في ميدان التحرير، وجد أنّ تلك الجرائم يمكن ـ من حيث المبدأ ـ أن تحدث. ومَن كان يبرّئ الشعار الإسلاموي من كراهية الآخر، سمع بأذنيه الهتافات الدينية تتردّد أثناء الاعتداء. ومن وجد أنّ انتماء الفيديو لزمن النظام السابق يعني تبرئة حكم الإسلاميين، رأى أنّ هجوم الإسلاميين في مواقع التواصل على الأقباط قد تصاعد، ولاحظ أنّ جريمة الفيديو لم تستفزهم بحدّ ذاتها، وإنما استفزّهم إمكان استغلالها ضدهم!

لكن، كما يسمح الإنترنت ومواقع التواصل بعرض الحقائق ونشرها على نطاق واسع، فإن الطبيعة السريعة المتغيّرة لتلك المواقع سرعان ما تترك القضية لتنتقل إلى غيرها. هكذا انشغل القائمون على الفايسبوك في الصباح بعرض الفيديو المأسوي، قبل أن ينشغلوا في المساء بالردّ على كاتب قطريّ هاجم مصر رداً على مقدم برنامج «البرنامج» باسم يوسف. كما أنّ حذف الفيديو أثار نقاشاً حول حقوق المستخدمين وحقوق الضحايا. بين من رأى في نشر الفيديو إساءة إلى ضحيته المكشوفة بالإجبار، ومن رأى أنّ الجريمة أكبر من أن تُخفى تحت أي ذريعة، نقاش دائم في العالم العربي المعاصر، وجدل يحرّكه النطاق الواسع للجرائم التي ترتكب فيه. جرائم تنتمي وحشيتها إلى عصور ما قبل اتفاقيات المستخدمين على يوتيوب. لقطات من أزمنة فاشية، سرعان ما يحذفها العالم «المتحضّر»، فلا يبكي الجريمة سوى ضحاياها.

◀ انضمّ **نور الشريف** إلى قطار دراما رمضان المقبل ليكون آخر نجم يبدأ تصوير مسلسله لهذا العام. إذ احتفل الممثل مع الممثلتين صبا مبارك وعبير صبري ببدء تصوير مسلسل «خلف الله» الذي سيبث حصرياً على شبكة قنوات «بانوراما» ومن توقيع المخرج حسني صالح.

◀ اعتذرت **كندة حنا** عن عدم مشاركتها في الجزء الخامس من مسلسل «صبايا» الذي كان متوقعاً بدء تصويره مطلع الشهر المقبل في بيروت. وكتبت الممثلة السورية على صفحتها على الفايسبوك «أعتذر من جمهور «صبايا» ومن الشركة المنتجة هذا العام عن عدم مشاركتي في العمل، وأتمنى لهم التوفيق».

◀ كشفت **هالة سرحان** أنها تعاقدت مع إدارة قناة «**دريم**» الفضائية لتقديم برنامج يومي على شاشتها. وأعلنت الإعلامية المصرية أن العمل الجديد سيعرض مساء كل يوم في توقيت برنامج «العاشرة مساء» الذي كانت تقدّمه منى الشاذلي. وكانت الأخيرة قد تركت قناة «دريم» فجأة، الأمر الذي أدى إلى سحب عدد كبير من المعلنين إعلاناتهم.

◀ بعد أخذ وردّ، أعادت شركة «سما الفن» أو «سوريا الدولية للإنتاج الفني» الاتفاق مع المخرج **عامر فهد** لإنجاز «**بقعة ضوء 10**»، على أن يباشر التصوير قريباً في اللاذقية وطرطوس، ويجمع نخبة نجوم المسلسل المعروفين.

◀ كشف المخرج السوري **نجدت أنزور** (الصورة) في حديث مع وكالة «فرانس برس» أنه يعدّ **ثلاثية درامية** تحاكي الأزمة السورية وتشرح المواقف المتناقضة حولها. وتم تصوير مشاهد العمل في مناطق قريبة من خطوط القتال في محيط داريا، في ريف دمشق. ورأى المخرج أن تلك الأزمة لا يمكن أن تغطّى في مسلسل واحد، لذلك «اخترنا هذا الشكل الجديد من خلال ثلاثية تحاكي الأزمة وتشرح أبعادها». ولفت أنزور «إلى أننا نسمع في الأخبار وجهتي النظر اللتين تتصارعان، لكن عندما نكون على الأرض، نحاكي الواقع ويمكن أن تكون الحقيقة مغايرة للإعلام». وأوضح المخرج أنه «لا حاجة إلى ديكور يحاكي الدمار أو مؤثرات بصرية خاصة. فالمكان الذي جرى فيه التصوير يشهد دماراً واسعاً، ويمكن رؤية شارع طويل تصطف على جانبيه أبنية مدمرة أو محترقة بالكامل تخلو من أي أثر للحياة».

◀ أعربت «**الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان**» عن انزعاجها من قيام السلطات الكويتية بوضع مدير تحرير صحيفة «العرب» القطرية الصحافي عبد الله بن حمد العذبة ضمن قائمة الممنوعين من دخول أراضيها على خلفية كتابات له تتناول حالة الديموقراطية في بلده. كما أدانت الشبكة الحكم الصادر عن «المحكمة الابتدائية الإماراتية» بسجن الناشط عبد الله الحديدي لعشرة أشهر، على خلفية نشره تفاصيل عن إحدى جلسات محاكمة والده ضمن مجموعة الـ 94 معارضاً إماراتياً المتهمين بـ«التخطيط لقلب نظام الحكم».

◀ قال مراسل «**فرانس برس**» إن المحكمة الابتدائية في ولاية قابس، جنوب شرق تونس، قضت بتغريم رسامي «الغرافيتي» **شاهين بالريش وأسامة بوعجيلة** (ينتميان إلى مجموعة «زواولة») مبلغ 50 يورو (100 دينار) لكل منهما، بتهمة «الكتابة على عقار للدولة بدون ترخيص».